قصير عمرة..
تجلّي الفن الأموي والتفاعل الحضاري في عمارة الصحراء

الموقع الجغرافي

يقع قصير عمرة في البادية الشرقية للأردن، ضمن بيئة شبه قاحلة شرق العاصمة عمّان، بالقرب من وادي البطم، وهو مجرى مائي موسمي. ويأتي الموقع ضمن شبكة القصور الصحراوية الأموية التي انتشرت في المنطقة، حيث ارتبطت هذه المنشآت بالطرق التجارية وبالتفاعل مع المجتمعات القبلية في البادية، ما منحها بعدًا استراتيجيًا وإداريًا في سياق الدولة الأموية.

نبذة عن الموقع

شُيّد قصير عمرة في أوائل القرن الثامن الميلادي خلال العصر الأموي، ويُعد من أفضل القصور الصحراوية حفظًا في المنطقة. وقد كان يؤدي وظيفة مزدوجة، حيث شكّل مقرًا للإقامة والاستجمام للخلفاء الأمويين، إضافة إلى كونه جزءًا من منظومة أوسع تضم عناصر دفاعية وخدمية.

تتجلى القيمة الاستثنائية للموقع في كونه يمثل نموذجًا فريدًا للعمارة الأموية ذات الطابع «المدني/الترفّي»، حيث يضم قاعة استقبال وحمامًا متكاملاً، يعكس تقاليد الاستحمام الرومانية المطوّرة ضمن السياق الإسلامي المبكر. كما يتميز الموقع بزخارفه الجدارية الغنية (الفريسكو)، التي تُعد من أندر الأمثلة الباقية للفن التصويري في العمارة الإسلامية المبكرة، حيث تتضمن مشاهد صيد، وصورًا بشرية، وعناصر نباتية وحيوانية، إلى جانب كتابات باليونانية والعربية.

ويُبرز الموقع تفاعلًا حضاريًا واضحًا بين التأثيرات الكلاسيكية والبيزنطية من جهة، والتقاليد الإسلامية الناشئة من جهة أخرى، مما يعكس مرحلة انتقالية مهمة في تاريخ الفن والعمارة في العالم الإسلامي.

معايير الإدراج على لائحة التراث العالمي

أُدرج قصير عمرة على قائمة التراث العالمي عام 1985 وفق المعايير التالية:

المعيار الأول: « يمثل الموقع تحفة فنية من الإبداع البشري»

تُجسّد الجداريات (الفريسكو) في قصير عمرة قيمة فنية استثنائية ضمن سياق الفن الإسلامي المبكر، حيث تغطي

الأسطح الداخلية لقاعة الاستقبال والحمّام بمنظومة تصويرية متكاملة تتسم بتنوع موضوعاتها وتماسكها التركيبي. وتشمل هذه الرسوم مشاهد صيد واحتفالات، وتمثيلات بشرية وحيوانية، إضافة إلى تصوير فلكي على قبة الغرفة الساخنة. وتعكس هذه الأعمال مستوى متقدمًا من المهارة الفنية، كما تُظهر تفاعلًا واضحًا مع التقاليد الكلاسيكية والبيزنطية، مما يجعلها شاهدًا فريدًا على نشأة الفن التصويري في العمارة الإسلامية.

المعيار الثالث: « يمثل الموقع شهادة فريدة أو استثنائية على تقليد ثقافي أو حضارة قائمة أو مندثرة»

يمثّل قصير عمرة شهادة استثنائية على الحضارة الأموية، ولا سيما في تجلياتها المرتبطة بالحياة الدنيوية والبلاط الحاكم. إذ يعكس الموقع أنماط العيش المرتبطة بالترف والاستجمام، من خلال تكوينه المعماري ووظائفه، إلى جانب مضامينه الزخرفية التي توثّق جوانب ثقافية واجتماعية نادرة التمثيل في العمارة الإسلامية المبكرة، مما يمنحه قيمة توثيقية عالية لفهم هذه المرحلة التاريخية.

المعيار الرابع: « يمثل الموقع مثالًا بارزًا على نوع من البناء أو مجموعة معمارية أو تكنولوجية تعكس مرحلة مهمة في تاريخ البشرية»

يمثّل قصير عمرة نموذجًا متكاملاً لمنشأة صحراوية أموية ذات طابع وظيفي وترفيهي، حيث يضم مجموعة من العناصر المعمارية والهندسية المترابطة، تشمل قاعة الاستقبال، والحمّام بتقسيماته الحرارية، والبئر، وخزان المياه، ونظام رفع وتوزيع المياه. ويعكس هذا التكامل مستوى متقدمًا من التخطيط المعماري والتكيّف التقني مع البيئة الصحراوية، كما يجسّد مرحلة مهمة من تطور العمارة الإسلامية المبكرة في سياقها الإقليمي.

قصير عمرة: العمارة، الفن، والنظام الهندسي

تتكوّن عمارة قصير عمرة من مجموعة متكاملة من الفضاءات، أبرزها قاعة الاستقبال ذات الأقواس والأقبية، والحمّام الذي يضم غرفًا باردة (Frigidarium)، ودافئة

(Tepidarium)، وساخنة (Caldarium) وفق النظام الروماني، وقد تم تكييف هذا النظام ليتناسب مع البيئة المحلية والاحتياجات الوظيفية للموقع.

تُعد الجداريات العنصر الأبرز في الموقع، حيث تغطي الجدران والأسقف بتكوينات فنية معقدة تشمل مشاهد بشرية وحيوانية وزخارف نباتية، إضافة إلى تمثيلات فلكية، مثل قبة الأبراج السماوية، التي تُعد من أقدم التصويرات المعروفة للسماء في عمارة القباب. أما من الناحية التقنية، فقد اعتمد الموقع على نظام متكامل لإدارة المياه، شمل بئرًا عميقًا وخزانًا مائيًا ونظام رفع المياه، إضافة إلى قنوات وتصريفات، ما مكّن من تشغيل الحمّام وضمان استدامة الاستخدام في بيئة صحراوية قاسية.

الخلاصة:

يمثل قصير عمرة نموذجًا فريدًا للعمارة الأموية التي تجمع بين الوظيفة والترفيه، وتعكس تفاعلًا حضاريًا غنيًا بين الثقافات المختلفة في بدايات العصر الإسلامي. وبفضل جدارياته الاستثنائية ونظامه المعماري المتكامل، يقدّم الموقع فهمًا عميقًا لتطور الفن الإسلامي المبكر، كما يبرز أهمية التكيف مع البيئة الصحراوية في التصميم المعماري. وتبقى قيمته العالمية الاستثنائية مرجعًا مهمًا لدراسات التراث والعمارة في المنطقة.